

أضواء البيان

@ 161 @ فجازاهم [] على كفرهم بطمس البصائر ، وإزاحة القلوب والطبع والختم والأكنة المانعة من وصول الخير إليها ، كقوله تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } ، وقوله : { بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } ، وقوله : { وَزُقِلَّا لَبِبُ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ } ، وقوله : { فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } ، وقوله : { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَاْفِرُونَ } ، إلى غير ذلك من الآيات . . تنبيه .

في هذه الآية الكريمة الرد الواضح على القدرية في قولهم : إن الشر لا يقع بمشيئة [] ، بل بمشيئة العبد . سبحان [] وتعالى علواً كبيراً عن أن يقع في ملكه شيء ليس بمشيئته ؟ { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا } ، { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } ، { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى } إلى غير ذلك من الآيات . ! 7 7 ! قوله تعالى : { وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلََّوْاْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أن نبيه صلى [] عليه وسلم إذا ذكر ربه وحده في القرآن بأن قال (لا إله إلا []) ولى الكافرون على أدبارهم نفوراً ، بغضاً منهم لكلمة التوحيد ، ومحبة للإشراك به جل وعلا . .

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر ، مبيناً أن نفورهم من ذكره وحده جل وعلا سبب خلودهم في النار ، كقوله : { وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا خِرَةً } وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ { ، وقوله : { ذَلِكَُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } ، وقوله : { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَءَنزَّلْنَا لَكَ الْكِتَابَ لِيُشَاعَرِيَ مَّجْنُونٌ } ، وقوله : { كَذِبُ الْإِشْرَاقِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عِلَـهِ } ، وقوله : { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْإِشْرَاقِينَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عِلَـهِمْ آيَاتُنَا } ، وقوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَـذَا

الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا ° فِيهِ لَعَلَّكُمْ ° تَغْتَلِبُونَ { .